يوميات بحـــار

(٢)

الثلاثاء : ٢١ أكتوبر .

لك الله هواء البحر الطليق نعمة المولى وصورة من لطفه لأناس جربوا العطف والحنان فى هذا البلقع المضطرب . لـكن أنى استطاعك أن تسد النقص فى قلة الغذاء والعلاج على ظهور مراكب تبحر إلى الهند وفى أثناء رحلتها قد يحدث — بل كثيراً ما يحدث — أن يصاب عدد من أنفارها بمرض أو علة كما حدث على سفينتنا هذا العام . فقد اشتدت العلة على صديق لى شاب يتدفق نشاطا وحيوية فيا لهول ما لقى المسكين من متاعب . فلا دواء ولا مداوى ولا عناية ترجى حين يختبط المحيط ويقوم الجمع لينقذ السفينة من براثن هذا الغول الهائج لقد كان عزاؤه الوحيد هو مواساتنا له وحنونا عليه معشر زملائه .

يا لطيبتهم أبناء السندباد لـكم حرموا أنفسهم من لذيذ النوم ليؤنسوه فى خلوته ويواسوه فى محنته ، وضنوا على أنفسهم بالراحة ابتغاء إدخال الاطمئنان إلى نفسه . لـكن لا عاطفتهم ولا مواساتهم وحنوهم بل ولا تضحيتهم قد تفيد ، فلقد سبق السيف العذل وأناخت العلة عليه واشتدت نوباتها حتى كان ذات ليلة وكنت أجلس حواليه فقال لى : إنى أحس بقبضتين قويتين تطبقان على عنقى وتحبسان أنفاسى . . إنى أموت ، لقد قربت منيتى . . لـكن هل أطمع أن تؤدى لى خدمة بسيطة وغالية على نفسى . . أختى لقد طلبت منى عروساً مزينة لتلهو بها . . آه لن أرى ابتسامتها الساذجة حين تضفر بها . وأمى لقد طلبت منى ثوبا أسود . . . ترى هل ستفرح به ، مسكينة ستلبسه حداداً على . فرجائى أن تجيب رغبتهما نيابة عنى فعهدى بك أخاً صادق الحب » ولم يبت المسكين ليلته فقد أسلم الروح بعد قليل ومات بين أيدينا ولم يك فى استطاعتنا عمل شىء له فلا طبيب على السفينة ولا دواء . يا لفجيعة عائلته به . ترى هل سيعوضهم الربان لـكن بأى مال تعوض فلذات الأكباد .

الخميس : ٣٠ أكتوبر

« بر يا جماعة بر . . . » ما كدنا نسمع هذه الجملة حتى ترك كل منا ما فى يده ، واشرأبت الأعناق وتطلعت العيون لترى ذلك الشىء الذى افتقدته طول الشهرين — الأرض — آه لو يعلم الذين يرتعون على البر ويمرحون كم تعنى هذه الكلمة لدينا معشر البحارة ، إنها أحلى من الأمل .

ورويداً رويدا بدت لنا الأرض ، وقليلا قليلا برزت العمارات والجبال كأشباح وسط الضباب لاتتبين العين منها سوى أطياف ، ولم نلبث أن أحطنا بزوارق تحمل بعض بحارة السفن التى سبقتنا فى الوصول . هبوا لملاقاتنا حين عرفوا السفينة فتبادلنا وإياهم التحيات وصحبونا إلى الميناء .

الجمعة ٣١ أكتوبر .

« تعب كلها الحياة . . » صدق أبو العلاء فلم نـكد نفرح بوطئنا البر حتى ابتدأ العذاب الثانى ، ابتدأنا فى صبيحة اليوم الثانى فى إنزال الحمولة ولولا معونة بحارة السفن الأخرى لما انتهينا منه فى يوم واحد ، يا لنفوس البحارة الـكبيرة لقد تقاطروا علينا من كل حدب وصوب ليعينونا ويشاركونا فى تعبنا وما أطيبها من روح حقاً إن المرء ليشعر برباط وثيق مقدس يربطه بهم وليت هذا الشعور ينتشر بين الناس إذاً لما وجدت هذا التناحر ولتلاشت روح العـدوان والبغضاء بينهم وعاشوا فى سلام .

السبت : ١ نوفمبر

شىء واحد كان يشغلنى طوال المدة الأخيرة : هو أن أرضى روح الزميل الراحل وأكون عند حسن ظنه وأشترى العروسة لأخته الصغيرة والثوب الأسود لأمه لقد اشتريتهما وعرفت أن أكون بمثـابة الولد والأخ لعائلته المفجوعة وسأتذكر ما حييت آخر ما قاله لى « أمى وأختى ترى ماذا هم فاعلون إذا عرفوا الخبر يا إلهى الطف بهم وألهمهم السلوان »

(يتبع)

عاشق اليابسة